الأستاذة فتيحة حرات

قسم العلوم الاجتماعية، جامعة بجاية

مقدمة:

إنّ التحولات الجذرية التي عرفها المجتمع، أنتجت عدم استقرار للقيم والمعايير، أي أنها أحدثت مجتمع جديد في مرحلة متقدمة من التثاقف، فإنه من الطبيعي أن تنمو لدى الأفراد طموحات جديدة[1] . نتيجة لذلك تغيرت الحياة الأسرية، بعدما كانت أسرة أبوية ذات نظام تقليدي، أين كان «النسق القيمي صورة أو بنية فوقية للبناء الاجتماعي القبلي، الذي يحافظ على وحدة الجماعة»[2] ويعد هو أساس البنية الاجتماعية، أصبحت أسرة ذات تشكيلة نصف تقليدية ونصف عصرية طبقا للثقافة الثنائية للمجتمع، ذات أدوار ووظائف تتأرجح ما بين الميل إلى القيم التقليدية والميل لقيم عصرية ولم تعرف بعد استقرارا، فهي في مرحلة انتقال تجمع بين «غياب التقليدية الأصيلة وبالمقدار نفسه غياب الحداثة الحقة»[3].فأعيد تكوينها على شكل عدة خلايا نووية مكونة لوحدة سكنية واستهلاكية، أو بشكل مجموعة من الأسر النووية لها مساكن مستقلة، لكنها مجتمعة حول الأبوين ما داما على قيد الحياة [4].

ومثلما ذكر **كاميري**[5] هناك تباين في التأثير الثقافي أدى إلى احتلال الأسر لمراكز ثقافية مختلفة، وهذا ينطبق على الأسر الجزائرية المتباينة، فهي تختلف من حيث نسقها القيمي، إذ هناك أسر لازالت ثقافتها

---

1 Boukhobza(M'hamed) ,**Octobre88,Evolution ou rupture ?** Bouchène.Alger. 1991.P117

2 Bennoun (Mahfoud) ,**Esquisse d'une anthropologie politique**, Marinoor, Alger,1998.

هشام(شرابي)،**النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، ترجمة محمودشريح،بيروت،1992 .

3

4 - Addi (Lahouari),**Les mutations de la société algérienne, famille et lien social dans la famille contemporaine**,La découverte .Paris .1999.p 41.

5-Camillerie(Carmel),**Jeunesse, famille et développement,essai sur le changement socioculturel dans un pays du tiers monde** .C.N.R.S. Paris.1973.P23.

تقليدية أكثر منها عصرية، و أخرى تحتل المركز العصري مع حفاظها على القليل من التقاليد، ويبقى المركز الأوسط الذي يوازي ما بين الجمع المتساوي نسبيا بين القيم التقليدية والعصرية هو الغالب في المجتمع .

وطبقا لنموذج متناقض يتمثل في تداخل هذين الثقافتين، يعيش أفراد المجتمع الجزائري، تتأرجح، تربيتهم، تنشئتهم، سلوكياتهم الاجتماعية بين نظامين قيميين تقليدي وعصري، دون التمييز بينهما سوى بصفة نسبية، حيث تتأرجح أفعالهم الاجتماعية بين الثبات والتغيير وينطبق ذالك على طريقة العقاب التربوي ضمن الأسرة.

التربية والعقاب ضمن النسق الأسري التقليدي

تعطي الأسرة الأبوية من خلال التربية التي تلقنها للأطفال نظرتها الخاصة للمجتمع وتعكس بالتالي قيمها ومعاييرها، إن المبادئ الأساسية لتلك التربية تجعل من الطفل شخصا خاضعا كليا إلى الكبار من واجبه نحوهم الصمت والخضوع[6]. وبين الجنسين هناك اختلاف وتباين واضح.

«التربية التي تعطى للولد ليس منها أي هدف آخر سوى جعله رجل شريف، ولكي يكون كذلك يتعلم أن لا يسرق، ولا يتخلي عن ذويه، وأن يبتعد كليا عن الرذيلة، إن الطفل ذو التربية الصحيحة، لا يترك نفسه لسلوك خاطئ، يعرف ما يقوله ولا يتباهى بفعل الرذائل إنه، لا يستعمل الكلمات القبيحة ويتكلم قليلا أمام البنات»[7] «علاقة الأب بالابن، علاقة صريحة لعدم المساواة، فكبر حجم الاحترام نحو الأب يبين طبع الخضوع التام للابن، تبعا لهذه العلاقة تأتي علاقة الأم بالابن، ثم علاقة الإخوة يبعضهم البعض، أين يظهر التدرج في العلاقة بينهم، بحيث الابن الأوسط ملزوم باحترام أخاه الأكبر منه» [8]. يتعلم الولد إذن جملة من قواعد الاحترام، أولا في الأسرة حسب تدرج سلمي، طبقا لطبيعة البناء التقليدي

---

[6] - Haider (F),in Institut National d'Etude et d'Analyse pour la Planification ,**Réflexions sur les structures familiales** ,Alger, 1982 , p. 41 .

[7] - Genevois (Henry) ,**L'Education familiale en Kabylie**, F.B.D.N°89 ,Fort National ,1966.pp18-52 .

[8] - Boutefnouchet (M.) **La Famille algérienne, Evolution et caractéristiques récentes**, SNED ,Alger 1982 , p. 63.

للأسرة وتوزيع الأدوار ضمنها، ثم ينتقل ذلك الاحترام إلى خارجها. ولأجل ذالك تتخذ إجراءات تأديبية شديدة من طرف الأسرة والجماعة حتى لا يتم الإخلال بنظامها.

تربية الفتاة تتبع خطوات صارمة أكثر، مختلفة تماما عن تربية الولد، فالأسرة التقليدية تتلقى ولادة الفتاة بإكراه، وتلقنها تربية توجه على مستويين: الأول هو الحفاظ على الشرف الأسري، والثاني هو اندماجها في أسرة زوجها وفي كلتا الحالتين يكون خضوعها هو أساس تربيتها. لأجل ذالك:

«تمارس على الفتاة جملة من الضغوط والتي تعد بمثابة تقويم شديد لما تملكه والمتمثل في عذريتها، إن مهمة حماية سمعة الفتاة وعذريتها مرتبطة ارتباطا وثيقا بمكانتها وشرفها»[9]. لأن الفتاة ترتبط بفكرة جلب العار لذويها ،الذين يعتقدون أن خلق الأنثى سيدوم ولا يفارقهم ما دامت لم تتزوج[10]، لذلك السبب ينصب الاهتمام خلال عملية التربية للفتاة، على جملة من الشروط الأخلاقية، والمتمثلة في مظهرها الخارجي وسلوكها، بحيث يجب عليها أن تتميز بالحشمة في سلوكها، بالتحفظ والأدب[11]. في حداثة سنها، إذا فعلت بعض الأخطاء، فإنها تعاقب بقسوة أشد من الولد، لأنه يجب القضاء لديها على محاولة إعادة نفس الخطأ وتعليمها التحمل، لأنها مثلما فعلت عند الأهل، فإنها قد تكرر نفس الخطأ عند أهل زوجها، لذلك تعلم البنت الأدب، والاحتشام، إنها ملزمة بمراقبة تصرفاتها في كل شيء، كما تتعلم أشغال البيت، فإنها حتى وإن عملت فوق طاقتها لا يجب أن تشكو. وحتى ترسخ كل الصفات المطلوبة في الفتاة وتنشأ على الخضوع تؤدب الفتاة بصفة دائمة: «إن التربية الأخلاقية للفتاة تقوم على تأديبها عن طريق الضرب وعادة ما يكون ذلك من دون سبب، كما أن الأسرة كانت تشجع الذكور على ضرب أخواتهم الصغار في إطار الألعاب العائلية، وفي حالة الشكوى أو أي محاولة للثوران أو التذمر من طرف البنت، فإنها ستتعرض لا محالة للعقاب الأسري» [12]، وممكن أن تعاقب حتى من طرف من يصغرها سنا لتتعود على

---

[9] - Zerdoumi (Nefissa) , **Enfant d'hier , l'éducation de l'enfant en milieu traditionnel algérien,** Maspéro, Paris, 1982, p. 190 .

[10] - Lacoste- Dujardin(Camille) , **Des Mères contre les femmes** , **Maternité et patriarcat au Maghreb** , Bouchène, Alger. 1990 , p.57.

[11] - Zerdoumi (Nefissa) , Op.Cit, p.190 .

[12] - Ouitis (Aïssa) , **Les Contradictions sociales et leur expression symbolique dans le Sétifois ,** S.N.E.D.-C.R.A.P.E. , Alger 1977, p. 61.

الخضوع للرجال، «عادة ما كانت الجدة تعطي لحفيدها عصا ليضرب بها أخته بمعية الأم، التي كانت تمسك ابنتها لتساعده على ضربها وتشجعه بقولها: «أضربها أنت رجل» فكان عليها تحمل ضربات أخيها الصغير»[13].

عن طريق استعمال العقاب العنيف يتم تحضير الاثنين، الولد لأن يكون مسئولا عن أسرته ومتحكما فيها، و البنت بأن تكون في أتم الخضوع، وعامة العقاب بالضرب وبالشتم والصراخ والتوبيخ في الأسرة التقليدية كان شائعا ويقع على الجنسين في مجال التربية.

تحمل الشدائد والعقاب الدائم، تلك هي أهم صفات التربية التي تتقاسمها الفتاة مع الولد، فالعقاب الجسدي والمعنوي كان منهجا تربويا مؤدبا حسب منطق النموذج التقليدي ،من شأنه أن يجعل من الأبناء خاضعين، مطيعين متقبلين لما يفرضه الأولياء، كونه يجعل منهم أفرادا صالحين وشرفاء، يكونون على الدوام في خدمة الجماعة، ويضمنون بذالك التكافل والتآزر الإجباريين، ويواجهون التغيير ويعيدون إنتاج نفس النموذج الاجتماعي الثقافي، و الأبناء كانوا يعلمون بأن التأديب كان الكل معني به بما في ذالك أعضاء الجماعة التي تنتمي إليها الأسرة الممتدة (العشيرة، الفرقة)، وأشد عقاب يخشاه الأبناء هو أن يحملون صفة الذم ،لأن ذالك كان يفقدهم تضامن الجماعة معهم. إن الحياة الاجتماعية مثلما ذكر **بورديو** تخنق الحياة الفردية ...لكن الفرد لا يتخذ ذالك الضغط على أنه ظلم، لأنه يخشى أن يضيع التضامن الحيوي الذي يوحده مع جماعته لأنه يشعر بأن لا وجود له سوى ضمنها[14].

فالعقاب ضمن منطق نسق النظام التقليدي، ما هو إلا ضبطا اجتماعيا كان الغرض منه الحرص على عدم تفشي الرذيلة في المجتمع وتشتت الجماعة.

تغير التربية والعقاب الأسريين في ظل التحولات الاجتماعية:

ساهم انتشار الأسر النووية في إعادة النظر في الكثير من القيم التقليدية، بحيث الابتعاد المجالي أضعف من التواجد الدائم للقرابة الواسعة ،لأن الوضع الاقتصادي الجديد أحدث الكثير من الاستقلالية الأسرية، وهذا ما ساهم في إضعاف السلطة التقليدية على الأبناء.

---

[13] - Zerdoumi (Nefissa), Op.Cit,p. 169.

[14] -Bourdieu (Pierre),**Sociologie de l'Algérie**, Dahleb, ,Alger ,1984,p86.

العلاقة الجديدة بين الأولياء والأبناء :

الممارسات العصرية ساهمت في جعل الأولياء يعيدون النظر في التربية التي تلقوها، وهذا ما جعل علاقاتهم بأبنائهم تتغير وتسجل ضمن الثقافة العصرية . «العلاقة الجديدة (...) بين الأب والابن تأخذ نمط الديمقراطية، وكذلك الأم والبنت، وبين الإخوة وأخواتهم (...) بإضعاف سلطته على الابن، وبتوسيع الحديث التربوي معه، فإن الأب يثأر عادة وبشدة على التربية التي تلقاها هو، والمعتمدة على السلطة المطلقة للأخ البكر والعم» [15].هذا يعني أن الأب أيقن جيدا متطلبات العصر الجديد، التي ترتكز أساسا على النجاح المهني، فالتشديد في السلطة لم يعد يجدي بنفع . فالأطفال في الحاضر لهم أجوبة عند الحديث والرد الحيوي الذي لا يعاقب بالضرب، بل بالابتسامة المشجعة، بصفة عامة في الأسرة المعاصرة، يعقَب الأب بسهولة وبتشجيع على تلبية شهوات الطفل[16].

وعلاقة الأم بالأبناء أصبحت هي الأخرى أكثر ديمقراطية، خاصة إذا كانت مستقرة في أسرة نووية : «تأخذ الأم الشابة على عاتقها مسؤوليتها كأم ومسؤولية مستقبل بيتها، (...)، لأن الأم الشابة لها مواقف جديدة، إنه الانقطاع مع الشكل التقليدي في التربية، (...) وكأنه نوع من الأخذ بالثأر ضد العطف الجماعي لتعويضه بالعطف الفردي والخاص من طرفها هي، إنها تأخذ هذا الموقف بطريقة الملكية الخاصة وبطريقة عدوانية ضد كل من يريد تملك ابنها» [17].

مع أن هناك اهتماما دقيقا بالتربية المعاصرة، إلا أن هناك ما يثبت استمرار التربية التقليدية، خاصة استمرار التمييز الجنسي، وحتى عندما يرجع الاختيار للتربية العصرية، لا يتم الاتفاق دائما عليها بين أعضاء الأسرة، خاصة إذا كانت هذه الأخيرة ممتدة، يرى **مظهر** أنه لا يوجد زوجين مستعدين أن يناقشا تطبيقاتهما التربوية التي يحققونها مع أبنائهم، ولا أن يتحدثا عن نمط التربية التي يجب أن يقدمانها، هذا الانقسام التربوي هو نتيجة للانقسام ما بين نمطي الحياة (تقليدي – عصري)[18].

---

[15] - Boutefnouchet(Mostefa),Op.Cit. p. 254.
[16]- Ibid p.256.
[17]- Ibid. p. 225.
[18] -Medhar (Slimane) , **Tradition contre développement**.,En. A.P, Alger, 1992,p. 165.

التربية التي تلقاها معظم الأولياء في الفترة الاستعمارية، وبداية الاستقلال وكذلك لسنوات بعد تلك الفترة، كانت تقليدية، حتى وإن كانت لدى البعض القليل تحمل الجانب العصري، إلا أن القيم التقليدية كانت غالبة، ولأنها كانت كذلك، فإنها لم تحضر الأولياء للمناقشة في النموذج التربوي الذي سيلقن للأطفال، لأنها ببساطة كانت تتم بصفة عفوية، وكانت تفصل بين الجنسيين، بل لم تحضر الزوجين للعيش ضمن أسرة نووية مستقلة عن الجماعة، أين يستقل الزوجين في اختيارهما وقراراتهما.

منهجية البحث:

الإشـــكالية:

التربية الأسرية تتأرجح بين قيم عصرية وأخرى تقليدية وفي ظل هذه الازدواجية يتم التفاعل بين الأولياء والأبناء ،فإذا كان للأولياء دور غرس القيم الثقافية المتناقضة،فالأبناء من جهتهم لهم دور في إحداث التأثير في القيم التربوية، ابتداء من تفاعلهم بالوسط الخارجي، وذالك بفعل ما قد يرفضه الأولياء، أو التخلي عمّا يأمرون به، وقد يصل ذلك إلى صراع ضمن الأسرة يستدعي العقاب،فإلى أي مدى يصل تأثير الثقافة العصرية على الأولياء وإلى أي نوع من العقاب يلتجِئون في ظل التغيير،وما مدى استمرار تأثير الثقافة التقليدية هل لازالت لها دورا في هذا المجال؟

فرضية البحث:

تعايش قيم تقليدية خارجة عن منطقها الزمني والمجالي وأخرى عصرية متبناة خارجة عن الإطار الذي وجدت ضمنه، أنتج تذبذبا وعدم تناسق في القيم التربوية الأسرية، مما كان سببا في اللجوء إلى عقاب أحيانا عصريا وأحيانا تقليديا .

عينة وتقنية البحث:

ضمن بحث ميداني (في إطار تحضير رسالتنا للدكتوراه) حول القيم التربوية الأسرية كان للعقاب مجالا بين محاور الدراسة، أخذنا عينتين لمتطوعين بمجموع 325 مبحوث موزعين كالآتي: عينة من الأولياء بعدد 91 وليا، وأخرى من الشباب تجمع 234 عنصرا. أخذت العينتين من جامعتي الجزائر وبجاية، أين

تمَ توزيع الاستمارات على الطلبة وعن طريقهم، تم إيصالها إلى أسرهم. وزعت استمارتين، الأولى ذات أسئلة خاصة بالأولياء، والثانية موجهة للشباب العزاب الذين لا تقل أعمارهم عن 15 سنة ولا تتعدى 31 سنة.

التحليل:

تغير نوع العقاب:

غضب الأولياء عادة يتبعه العقاب، كأسلوب تربوي، لتنظيم الأفكار وإعادة ترتيب الأولويات من الأشياء، في أذهان الأبناء، حتى يتمكنوا من تمييز الخطأ من الصواب في تصرفاتهم. فكانت إجابات المبحوثين الشباب حول هذا الموضوع كالآتي:

نسبة المعاقبين البالغة 35.47% تعتبر قليلة جدا مقارنة مع نسبة غير المعاقبين 64.52%، مما يعكس تغيرا واسعا في منهج التربية الأسرية وترتفع نسبة الذكور التي تبلغ 69.56%، مقابل 61.26% الممثلة للإناث، بذلك وإن كان في فئة المعاقبين تظهر نسبتين للجنسين معا، تبقى نسبة الإناث أكثر ارتفاعا حيث تبلغ 38.73% مقابل نسبة الذكور البالغة 30.43%، إذ تعتبرن أكثر تعرضا للعقاب مما يذكرنا بأثر المنهج التقليدي.

منطق الأشياء يفترض أن كلما تقدم الشباب سنا تراجع أوليائهم في عقابهم، لذالك وجدنا ضمن نسبة المتعرضين لعقاب، أن فئة عمر 15-20 سنة هي ذات النسبة المرتفعة 44.06%، لكن هذا لم يمنع مبحوثي فئتي السن المتبقية من التعرض للعقاب بحيث 40.98% من فئة عمر 21-26 سنة، و13.2% من فئة عمر 27 و31 سنة، صرحن بتعرضهن للعقاب من طرف أوليائهن.

إن التعرض لعقاب في سن تتراوح ما بين 27 و31 سنة يعكس لنا من جهة أخرى، ثبات فئة أخرى من الأسر على المنهج التقليدي، الذي يستمر العقاب ضمنه متواصلا ما استمر الأبناء في العيش في كنف أوليائهم قبل زواجهم خاصة إن كن إناثا.

أما العقاب الشائع حاليا حسب ما تردد من إجابات لدى المبحوثين، هو الحرمان من أشياء يحبها الأبناء وقد جاء في هذا الصدد ما يلي: «يحرماني من الإنترنت، عندما أتحصل على نتائج سيئة في دراستي»، «يمنعاني من

مشاهدة التلفزيون عندما أغضبهم»، «يعاقباني طوال الوقت، فيمنعاني من الخروج»، «يحرماني من النقود اليومية»، «يحرماني من أشياء أحبها»، «يمنعاني من تناول الأكل، يتركاني وحدي في المطبخ ويحرماني من غرفتي»، «يمنعاني من تناول الأكل، الحلوى ومن الرياضة، إذا تحصلت على نتائج سيئة في دراستي».

فالحرمان من بعض الملذات التي يتمسك بها الأبناء أصبحت لدى هذه النسبة من الأسر والمقدرة بـ 34.93% وسيلة للعقاب، عوضت ممارسة عقابية تقليدية، الخصام أيضا أصبح كذلك، وبنسبة 26.50%، وقد قال المبحوثين في هذا الموضوع: «حينما أتهور ضد تعاملهما معي ،يخاصماني»، «عندما أخطئ أو أفعل شيئا خطيرا، يقطعان الحديث معي ويرفضان طلباتي»، «يخاصماني لوقت طويل، خاصة عندما أنسى ما طلباه مني، وعندما أكون غير مبالي».

إذن الحرمان والخصام أصبحا نوعي العقاب الشائع المذكور في صفوف المبحوثين المعاقبين، في حين في الماضي القريب، كان نوع العقاب الشائع في المجتمع هو العقاب الجسدي، المرفق بالصراخ والشتم، وتبين لنا بأن هذا الأخير مع التغير الاجتماعي الجاري قد تضاءل إلى حد كبير، لكنه لم يندثر، وبقي يتزامن مع شيوع النوعين المذكورين سابقا، فقد صرحت نسبة 22،89% من المبحوثين ما يلي:

«أحيانا يضرباني عندما أتشاجر مع أختي الصغرى»، «يصرخان في وجهي في كل مرة، لما يطلباني مني فعل شيء ولا أفعله»، «يعاقباني بالصراخ في وجهي»، «يضرباني عندما أخالف أوامرهما»، «يشتماني»، «يعاقباني بالضرب والصراخ».

طبعا هذا الوضع ما هو إلا عبارة عن صور لواقع ثقافي ثنائي، فالتأثر بالثقافتين يطفو للسطح كل مرة عبر مؤشرات اجتماعية يعيشها المبحوثين، ويتبين لنا في كل وضع تأثير معين لإحدى الثقافيتين، لكن في هذا الموضوع يبدو على الأغلب أن تأثير الثقافة العصرية عميقا، تؤكدها أنواع العقاب التي بدأت في الانتشار دون العنف الجسدي المعهود.

التفكير في الهروب عند العقاب :

العقاب القاسي الجسدي والمعنوي قد بدأ في التلاشي، لكن تساءلنا هل بإمكان العقاب مهما كان نوعه، أن يعبر عن اضطهاد لدى المبحوث، لدرجة أنه يفكر في الهروب من البيت، فكانت الإجابات كالتالي:

(6) ست مبحوثين حدث وأن هربوا فعلا من البيت و4 آخرين فكروا في الهروب، من مجموع المبحوثين المعاقبين وكانت تصريحاتهم كالآتي:

1- مبحوثة يتراوح عمرها ما بين 15 و20 سنة: «صرخا في وجهي فجمعت أغراضي وذهبت إلى بيت جدي وجدتي أين بقيت».

2- مبحوثة يتراوح عمرها ما بين (21-26 سنة) «أعاقب دائما بالضرب والشتم، لذلك أنا أهرب كثيرا من البيت، فأبي مدمن على الخمر يكثر من عقابي، أهرب إلى الإقامة الجامعية وأبقى هناك حتى في أوقات العطلة».

3- مبحوث يتراوح عمره ما بين 15 و20 سنة، لم يذكر نوع العقاب الذي يتعرض له، قال: «فكرت كثيرا في الهروب وفعلته من قبل».

4- «مبحوث يتراوح عمره ما بين 21 و26 سنة، نوع العقاب الذي يتعرض له هو الخصام»، «لقد هربت فعلا من البيت، لكني ذهبت عند الأهل».

5- مبحوث يتراوح عمره ما بين 21 و26 سنة: «لقد فعلت ذلك مرارا، ابتداء من 6 سنوات، وأعدت الكرة مرات، بقيت المرة الأولى 15 يوما في الشارع، وفي سن 15 سنة، عشت مع أصدقائي لمدة طويلة في دهليز، كان يطول هربي، لأنني أعلم حين رجوعي بأن والدي يعاقباني، بالدعاء علي بالشر وبالشتم وبالضرب وكذلك بالربط».

6- مبحوث يتراوح عمره ما بين 21 و26 سنة: «أهرب كي أتفادى العقاب، هربت وأنا عمري لا يتجاوز 14 سنة، إلى «وهران»، وكنت أنام في سيارات الأجرة». «كان والدي يضرباني وكذلك أخي الأكبر، عندما بدأت التدخين في 12 سنة ،كي يدفعوني للتخلي عنه، لكن ذلك زادني إصرارا».

أما المبحوثين الذين فكروا في الهروب وتراجعوا فكانت تصريحاتهم كالآتي: «إنهما يمنعاني من المصاريف، لقد فكرت في ذلك لكني لم أفعلها»، «أتعرض دائما للضرب، لقد فكرت في ذلك وقت الغضب، لكن بعد أن أهدأ أنسى»، «نعم أفكر في ذلك»، «أتعرض للضرب، أحيانا أفكر في ذلك لكني لم أفعل».

معظم المبحوثين الذين هربوا من البيت، أو فكروا في الهروب هم في أغلبهم المبحوثين الذين تعرضوا للضرب، لكن نلاحظ أن حتى الصراخ له الأثر السيئ في الدفع إلى مغادرة البيت، والفاعلين هم إناثا وذكورا من سن 15 سنة إلى 26 سنة، لكن الهرب مثلما أكده أحد المبحوثين بدأ في سن مبكرة جدا 6 سنوات أي مرحلة الطفولة، مما يستدعي التساؤل عن الأسرة ذاتها ،التي تبين أنها تعاني عدم استقرار بسبب شجار الوالدين المتواصل، الذي يصل إلى ضرب الأم.

مغادرة البيت تعني الشعور بالاضطهاد فيه، وطبعا التعرض المستمر للضرب منذ الصغر يؤدي حتما لهذا الشعور، لأن المكان الذي يعهد وأن يجد فيه الفرد الاستقرار بالإحاطة بالحنان والعطف والاهتمام هو الوسط الأسري، الذي إذا توتَر سيؤدي بأعضائه إلى البحث عن الأمن في ما دونه.

ولأنهم كانوا صغارا في السن لا يحسنون التفكير، توجه بعضهم إلى الشارع، بينما يتوجه البالغين أو المدركين للخطر إلى أماكن أكثر أمنا، عند الأهل أو الإقامة الجامعية.

لكن نلاحظ أن الخصام أيضا يعد من أنواع العقاب المرفوضة لدى المبحوثين، وحتى المنع من المصاريف، فلمجرد خصام الوالدين لها، هربت مبحوثة لمكان أكثر أمنا لها، وهذا لا يدل على الشعور بالاضطهاد فقط، بل يدل أيضا على فرض النفس، فالمبحوثة بعد الخصام لم تنساق إلى الخضوع، بل إنها صممت تهديد الوالدين بهروبها إلى بيت الجدين، وذلك يدل على تغيير الشباب لطريقة تفكيرهم وخاصة الإناث، فتغيير طريقة العقاب أدت كذلك لمواجهة من طرفهم.

استمرارا في نفس الموضوع، نتجه فيما يلي إلى المبحوثين الأولياء، لتوضيح مواقفهم من عدم طاعة الأبناء للمبحوثين ومحتوى ردود أفعالهم أمام الموقف سواء بالعقاب أو بالتسامح.

الأخطاء التي ذكرها الأولياء والتي تخص الشرف جاءت بأكبر نسبة تخص الإناث وكذا البعض من الأخطاء كسوء السلوك، بينما الانحراف، الإهمال، الإدمان على التدخين، عدم احترام الأبوين، الخروج من الدين، هي أخطاء لم تذكر سوى لتخص الذكور حسب ما صرح به المبحوثين، وبهذا يتضح لنا، بأن الذكور لهم أخطاء أكثر من الإناث، وهذا ما يؤكده قول أحد المبحوثين : «أخاف على الأولاد أكثر من البنات، لأن البنات حريتهن محدودة »، وهذا يعني بأن التمييز الجنسي المعلن لدى الكثير من الأسر المبحوثة، حسب مبدأ

تفضيل الذكر الذي تدعمه القيم التقليدية، أدى إلى اضطراب في التحكم في سلوك الذكور في ظل التغيير، بحيث التربية المشددة مع الإناث مع أنها عرفت ليونة ملحوظة في الآونة الأخيرة، قد أدَت إلى تحكم أكثر في سلوكهن إزاء التعرض للأخطاء والانحراف على وجه الخصوص، والذي تشهده فئة الذكور بصفة مبالغ فيها، فالحرية التربوية اتجاههم، جعلت بعضهم أكثر إهمالا لمستقبلهم وجعلتهم عديمي الاكتراث بالمسؤولية، وبالدراسة، وذالك عكس الإناث اللواتي بقيت النظرة التقليدية ملازمة لتربيهن، خاصة مع فتح المجالات أمامهم لتكوين علاقات مع الذكور، مما جعل الرقابة تستمر معهن في هذا المجال ويتضاعف معها الخوف من الإخلال بالشرف، لكن ذلك التشدد يظهر بأنه حافظ كثيرا على توازن سلوكهن وشخصيتهن، وكان وقاية لهن من خطر التعرض للأخطاء التي يتعرض لها الذكور بنسبة أكبر: «بالنسبة للولد كل الأخطاء يمكن غفرانها، إنه مشكل حساسية فقط، لكن البنات أخطائهن تمس الأسرة»، فاعتبارا لاستمرار هذه النظرة التقليدية للجنسين، فإننا نتوقع بأن تعرض الذكور للأخطاء مستمرا، بما أن الأولياء المتمسكين بالقيم التقليدية يغضون الطرف عن أخطائهم، ويشجعون تحررهم بطريقة مبالغ فيها .

- **تعرض المبحوثين لمواجهة الأخطاء:**

معظم المبحوثين اللذين حدثونا عن مخاوفهم من مواجهة أخطاء معينة من طرف أبنائهم نتيجة علاقتهم برفقاء سوء، لم يحدث وأن واجهوها فعلا، وإنما هي مجرد تخوف، ونسبتهم عالية بلغت 67.03%، وهذا يدل عل أن التتبع الدقيق لسلوك أبنائهم، وحرصهم على تفادي الأخطاء، سواء بصرامتهم وسلطتهم على الأبناء، أو نتيجة اقترابهم منهم، وليونتهم في إقناعهم بما يرونه في صالحهم.

لكننا ما بجدر بنا الإشارة إليه، هو أن المبحوثين من نفس الأسرة ،لم يجيبوا على حد السواء بحدوث أو عدم حدوث المواجهة، وإنما أحيانا يصرح بها الأب وتنفيها الأم وأحيانا العكس ،وهذا يجعلنا نشك في النسبة المتحصل عليها، فحتى بصدد بحث علمي، من المبحوثين من يعتبر خطأ الأبناء جنحة اجتماعية يفضل إخفائها.

في حين 38.46% تعرضوا لمواجهة أحد الأخطاء المذكورة، وذكروا: سوء الاختيار، واخصوا بالذكر اختيار العمل، الإدمان على المخدرات والخمر، التخلي عن الدراسة، الانحراف دون ذكر نوعه، الكذب،

التدخين، والرفقاء السيئين ،وعدم احترام الوالدين، فالإجابات، كان بعضها عبارة عن تجارب عاشها المبحوثين بمرارة مع أبنائهم.

- **أخطر الأخطاء التي لا يسامح المبحوثين أبنائهم عليه :**

توقعنا بأن تكون نسبة المتعرضين لمواقف مواجهة أخطاء الأبناء منخفضة ،فأضفنا سؤالا أخر، حتى نحاول معرفة ردود أفعال كل المبحوثين على حد السواء أمام الخطأ، سواء تم التعرض إليه أم لا، فكان السؤال ما هو أخطر خطأ لا تسامح ابنك أو ابنتك عليه ؟ فكانت الإجابات كالتالي :

يبقى الانحراف بما في ذالك من إدمان على المخدرات والقمار وارتكاب الجرائم من أخطر الأخطاء التي لا يتسامح فيها المبحوثين مع أبنائهم بنسبة 26.25% لأن ما يخرج عن المعايير الاجتماعية والأخلاقية، يعاقب عليه المجتمع قبل الأهل، بل وهؤلاء أيضا يتعرضون للعقاب الاجتماعي كونهم المسئولين عن الأبناء.

الكذب على الوالدين وخداعهما، تغير ترتيبه في هذا الجدول وأصبح في المرتبة الثانية من حيث النسبة 25%، لأن الكذب على الأولياء لمخادعتهم هو الذي يؤدي إلى باقي الآفات، والمبحوثين واعين جيدا بذالك، لذالك نجدهم لا يتسامحون .

خطيئة الشرف بقيت أيضا ذات وزن ثقيل في المجتمع، وترددت لدى المبحوثين بنسبة 16.25%، ولو أن الجرائم والانحرافات عامة كلها تحط من سمعة الأسرة وتمس بشرفها، إلا أننا وجدنا معظم الإجابات التي ذكرته، جاءت بالصيغة التالية : «الشرف والجرائم»، «الكذب والشرف» فالشرف أصبح مفهوما خاصا يفرق بين خطأ وأخر، وينطبق مثلما ذكرنا على الإناث، ويبقى دائما من أخطر الأخطار التي لا يتسامح معها المبحوثين.إهمال الدراسة كذالك من أخطر الأخطاء بنسبة 10%، وهذا يعكس لنا في كل مرة ،القيمة التي تحتلها لدى المبحوثين لضمان الاستقرار مستقبل لأبنائهم.

وبنسبة 10% أيضا، ذكر عصيان الوالدين وعدم احترامهما كخطأ ذاتي تعرض له البعض، ويخشون التخلي عنهم عند عجزهم كنتيجة لعصيانهم.

وأخطر الأخطاء التي ترددت بنسبة 8.75%، والتي لا تغتفر أيضا، هي الجرائم بما في ذالك من قتل وتورط في رشوة وغيرها من أنواع الجرائم، وقد ميز المبحوثين بينها وبين الانحراف الذي يعد أشمل وأوسع،

ليركزوا عليها بالضبط، فقد يتسامحون مثلا في تناول المخدرات لكن لا يتسامحون مع القتل أو جرائم أخرى .أما نسبة 3.75% فتمثل عدم التسامح مع كل ما يخالف الدين، وطبعا ذالك ينطبق على كل الأخطاء المذكورة لأنها كلها رذائل حرَمها الدين الإسلامي.

- **عقاب المبحوثين للمخطأ :**

للمبحوثين ردود أفعال مختلفة منها ما يتجه لليونة وما يتجه للشدة، ولاحظنا أن ذالك ينطبق على نفس الخطأ، فمن المبحوثين من يسلط أقصى عقوبة على خطيئة الشرف، وهناك من يحاول إيجاد الحل، وهناك من يعاقب على الانحراف أو من يحاول إصلاح الوضع، لكن ما يهمنا هو نوع العقوبة، لمعرفة اتجاهها الثقافي.

انقسم المبحوثين حسب فئتين كبيرتين تشمل الأولى الفئات الجزئية يمكننا إدراجها تحت اسم فئة الشدة، وتبلغ نسبة مجموع الفئات المجزئة51.33% وهي التي تعرضت إلى أنواع العقاب، وتشمل الثانية على فئات الجزئية يمكن إدراجها تحت اسم فئة الليونة ويبلغ مجموع النسب 35.12% وهي التي ذكرت النصح والتوجيه والتسامح ولم تذكر أي عقاب. لذالك سنركز على إظهار محتوى الفئة التي تهم بحثنا.

نجد الفئات الشديدة معبرة على ردود أفعال قاسية وتنطبق فعلا مع عدم الغفران، بحيث أكدت الفئة الأولى من المبحوثين بنسبة 21.87% على معاقبة مقترفي الخطأ : «سأعاقب بشدة» «سأسلط عليه أقسى العقوبات»، لم يذكر لنا المبحوثين هنا نوع العقاب وطريقته بل اكتفوا فقط بذكره وذكر درجته، لكن الفئة الثانية بنسبة 20.31% لم تذكر العقاب وإنما ذكرت «القسوة» في رد الفعل، وإذا اكتفى مبحوثين اثنين بذكر القسوة فقط : «سأكون قاسيا»، «سأتعامل بقسوة» ،فإن باقي المبحوثين ذكروا أنواع العقاب الذي سيقع على المذنبين: «سأصرخ وأضرب»، «البنت يمكنني أن أقتلها»، «يمكنني أن أعلقها بحبل»، هذه إذن صور من العقاب القاسي الذي صرح المبحوثين استعدادهم ليلحقونه بأبنائهم في حالة الخطأ الذي لا يغفرونه لهم .أما النوع الأخر من العقاب الذي تكرر بنسبة 14.06% من المبحوثين، فهو مقاطعة المذنب، وهو كذالك يعتبر عقابا قاسيا، بقول : «لن أكلمه أبدا» و «سأقاطعه وأطرده» و «سأتبرأ منه» ،لكن الأقسى عندما تكون المقاطعة متبوعة بالطرد أو التبرؤ من المذنب، فذالك أقصى حد من العقاب قد يصل إليه الأولياء مع

أبنائهم المذنبين.في حين العقاب الأقل قسوة، هو نزع الثقة من الابن أو البنت المذنبة بنسبة 3.12%، بما أنه أو أنها لم تحترم الثقة التي منحت لها وخانت والديها.

تذكرنا هذه الأنواع من العقاب بتلك التي كانت متداولة في النظام التقليدي قد لا يلجأ المبحوثين فعلا لهذه الأنواع من العقاب، لكن مجرد التفكير فيها يدل على أنهم لا زالوا يحملون القيم التقليدية القديمة، التي تعرض الأبناء في حالة إساءتهم لأقصى عقاب الذي قد يترجم بالتبرؤ والطرد أو القتل بالنسبة للإناث، إذا عرَضوا شرف أسرتهم للنقد، فالنظام التقليدي كان يعرض الأولياء، أيضا للعقاب في حالة ما إن لم يتخذ رد فعل في الاتجاه المفروض، لأنه كان مبنيا على الواجب والإلزام.

رغم التغيير الأسري والتربوي والتحرر الذي عرفته العلاقات الأسرية، إلا أن القيم التقليدية في التعامل مع هذا الموضوع فاقت نسبتها القيم العصرية أ وهذا يعني أن معظم المبحوثين إن كانوا من مشجعي العصرنة ومقبلون عليها، لازالوا يحتاجون للقيم التقليدية عندما يتعلق الأمر بالضبط الاجتماعي، لأنهم يعتقدون دائما بأن الشدة في العقاب هي التي ستعالج الأخطاء الاجتماعية بصفة جذرية، بحيث المتعرض للعقاب القاسي سيكون عبرة لغيره من الشباب فلا يجرأ هؤلاء على إتباع طريقه، فهم لا يزالون يعتقدون في فعالية القيم التقليدية ويوظفونها ميدانيا.

خاتمة:

يعكس العقاب في مجال التربية الأسرية، إلى حد كبير تغيير المنهج التربوي ضمن الأسرة التي نفسها تغيرت شكلا ومضمونا، لكن مهما كان التغير عميقا لم يصل إلى استئصال القيم الثقافية التقليدية التي لازال اللجوء إليها مستمرا ولازال الأولياء يعتبرونها مجدية في واقع متغير.

قائمة المراجع:

1 – هشام(شرابي)، **النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، ترجمة محمود شريح، بيروت،1992 .

2- Addi (Lahouari),**Les mutations de la société algérienne**, **famille et lien social dans la famille contemporaine**,La découverte .Paris .1999.

3-Bennoun (Mahfoud),**Esquisse d'une anthropologie politique**,Marinoor, Alger,1998.

4-Boukhobza(M'hamed) ,**Octobre88**,**Evolution ou rupture ?** Bouchène,Alger. 1991.

5-Bourdieu (Pierre),**Sociologie de l'Algérie**, Dahleb, ,Alger ,1984.

6- Boutefnouchet (M.) **La Famille algérienne**, **Evolution et caractéristiques récentes**, SNED , Alger 1982.

7-Camillerie(Carmel),**Jeunesse**, **famille et développement** ,essai sur le changement - socioculturel dans un pays du tiers monde,C.N.R.S. Paris.1973.

8- Genevois (Henry) ,**L'Education familiale en Kabylie**, F.B.D.N°89 ,Fort National ,1966 .

9- Haider (F),in Institut National d'Etude et d'Analyse pour la Planification ,**Réflexions sur les structures familiales** ,Alger, 1982.

10- Lacoste- Dujardin(Camille) , **Des Mères contre les femmes** , **Maternité et patriarcat au Maghreb** , Bouchène, Alger. 1990.

11- Medhar (Slimane) , **Tradition contre développement**.,En. A.P, Alger, 1992.

12- Ouitis (Aïssa) , **Les Contradictions sociales et leur expression symbolique dans le Sétifois** , S.N.E.D.-C.R.A.P.E. , Alger 1977.

13- Zerdoumi (Nefissa), **Enfant d'hier**, l'éducation de l'enfant en milieu traditionnel algérien, Maspero,Paris1982.